الحقيقة ان كل هذا انما هو تمرين وتعويد لان المرء الذي ينشأ سفاكا للدماء محباً للعدوان ميالا الى البدع الساقطة والاراء الذميمة لا يكون مولوداً على هذا الخلق ولا ورثه ارثاً وانما هو يلقن منه شيئاً ثم يحمل عليه نفسه حملا حتى يصير فيه سجية وطبعاً فلو عكس الانسان هذا الاسلوب في حياته فمرّن نفسه على احتمال المصائب وعودها ان لا ترى الشقاء كما يرى في حاله المألوفة لوجد نفسه عائشاً على اتم السعة والرغد مهما كان فقيراً معسراً في الظاهر واذا اعتبر البعض ان من يكون على هذه الصفة وتستطيع نفسه ان تمرّن على هذا الخلق انه يكون مجنوناً فان الذي لا يمرنها كذلك ويقعد شقياً في يومه مترقباً لشقاء غده انه لاشد جنوناً

اوبئة المال

لكل موجود في هذه الدنيا وباء يتسلط عليه ويختص باجتياحه واتلافه كلما كثر ونما كما هو الشأن في الانسان وسائر الحيوان فانه كلما كثر نوع من انواعه وتجمع في مكان واحد بدا له من بينه وباء مجتاح جارف يقوض بنيانه ويشتت مجموعه حتى كان ذلك سنة من سنن الخليقة لاتصاب بتغيير ولا تبديل

ولقد كان المال كأنه نوع من هذه الانواع الحية فهو كلما نما وعظم في خزانة جاءه من لدن القضاء وباء يبيده ويسرف في تفريقه وافنائه وذلك اما ان يكون بتجارة يحمل صاحب المال عليها فيخسر امواله بها او بمقامرة تتسلط عليه فتكون طاعوناً لا يبقي على ماله ولا يذر او بامثال ذلك من اوبئة المال

التي تدب جراثيمها الى خزائن الاغنياء حتى لا تبقي فيها ولا تذر وهي كلها من الطف ما قدره الله من مهلكات الاموال ولولاها لجمدت الخزائن بما فيها وجمدت فوقها الاكف حتى لا يفلت منها درهم ولا تظفر مقبرة فقير منها بميت

اما اوبئة المال فمختلفة كاختلاف اوبئة الانسان ولكن اجل ما يود ان ينتشر منها ويبيد احياء الخزائن هو وباء الاسعاف والاحسان على الناس فيما ينفعهم وذلك وباء قد اختصت به اكياس المستر كارنيجي المثري الاميركي الشهير فان جراثيمه قد علقت بكفه حتى لا ينفع فيها تلقيح ولا علاج كما انها قد لزمته على الدوام حتى لا تموت الا بموته وقد لا تموت اذا اقام من بعده من يستنبت تلك الجراثيم ويولدها على الدوام وعلى هذا فان ذاك المرض يبيد من امواله ثلاثة ملايين جنيه كل عام توزع على مكاتب اميركا وانكلترا ومدارسهما . وقد بلغ ما باد منها للان ستة ملايين جنيه وسيدوم موتها على هذا القياس ما دام الرجل حياً وليس لطاعون امواله مصل شاف

على ان كارنيجي لم يختص وحده بذاك الوباء ولا كانت خزانته بالبلاد الوحيدة التي وجدت تلك الجراثيم مسرحاً فيها بل لقد وصلت عدواه الى رجل من سراة الانكليز مشهور بتجارة القطن وهو المستر سيبلر ولكن داء خزانته كان الطف وقعاً على اموالها لانه يبيد منها في العام مئة الف جنيه تموت كلها في سبيل حياة الاطفال والاولاد الفقراء مع انه لا يموت منها في سبيل حياته نفسه الا ما لا يكاد يذكر ولهذا كان داؤه ابصر بطرق موت الذهب من داء كارنيجي لذي لا هم له الا احياء العلوم ونشر المكاتب وهي لو اعتبرت لدى الحقيقة والنتيجة لعدت من جملة اسباب الشقاء لانه يوسع بها

اطلاع الفقير ومعرفته حتى تعظم نفسه ويضيق بها جسمه فتغدو آفته من معرفته وكأنما ذم العلم من اجل هذه النتيجة وعد الجهل خيراً منه في بعض الاحوال

الا انه ليس من شرط اوباء الذهب ان تسطو عليه وتبيده في سبيل الاحسان ومساعدة الغير مباشرة فان منها ما ينشأ من كثرة المال حتى يبيده على صور شتى يرجع اكثرها الى النفع ولو اختلفت اساليبه وسبله . ومن ذلك وباء الاقتناء والولوع ببعض الاشياء وهو وباء يكاد ان يكون نازلا بخزانة كل انسان ولكنه يتفاوت بتفاوت المصابين الذين يقع عليهم . ومنه ولوع الاغنياء باقتناء السفن الجميلة الضخمة وهي التي يسمي واحدها يختاً وان شئت فقل قصراً عائماً على وجه الماء فانه قد صار لهذه السفن خاصة جراثيم هوى تعلق بخزانة كل سخي حتى لا تنصرف عنها الا بابادة اكثر ما فيها او هي لا تنصرف عنها حتى تعود اليها لقلة ما هناك من اسباب الوقاية وشفاء هذا الهوى المقيم . ولقد حدثوا انه يوجد في اوربا سبعة عشر مصابا بوباء هذه السفن ينفقون عليها كل عام اربعة ملايين جنيه عدا سفن الملوك العظام التي ينفق عليها اضعاف هذا القدر وكلها اموال لولا وباء لولوع وحب الاقتناء لما انفق منها شيء بل لدامت مكدسة لا يفنيها طاعون حقيقي ولا هواء اصفر اكيد

ولقد قلنا ان اوباء المال تختلف كاختلاف اوباء الناس وانها لكذلك فان المستر مورغان ملك الحديد المشهور قد اصيبت امواله بوباء الصور وحب اقتنائها فهي تبيد منها ما شاءت على (صور) شتى حتى لقد بلغ من الحاح هذا الداء على امواله انه اشترى من اشهر قريبة صورة لرافائيل الشهير بمبلغ

مئة الف جنيه وهو مقدار يبنى به اجمل قصر وتكاد تباشر به حرب صغيرة او تعان به مملكة في ازمة كبيرة ولكن خطبها معه غير قاصر على ذلك بل هي قد اتلفت من امواله نحو مليوني جنيه ولا تزال للان تتلف منها كل ما تستطيعه

ثم يتلو مورغان عدد عديد من اصحاب الاوباء والاسقام المالية وكلهم بين مصاب بحب التماثيل واقتناء الخيل ورغبة المسابقات البحرية وجمع النقود القديمة وطوابع البريد وتحمل الاسفار البعيدة واتيان الحالات الغريبة الى غير ذلك مما يعد افتك طاعون بالمال واشد سوس ناخر لخزائن الذهب ولكنه لدى الحقيقة من الطف ما يقع على كبد الانسانية وينزل على مهجة المجمع البشري وانه لولا هذه الاهواء المختلفة او الاوباء المجتاحة لعديد المال لكان شقاء الناس عظيما بتوفر المال كله في ناحية وامتناعه اصلاً عن ناحية

ولقد ذكرنا هذه الاوباء ببلادنا فلم نذكر معها الا الاوباء الحقيقية القتالة المبيدة لجموعنا كالطاعون والهواء الاصفر المقيمين للان . واما سائر الاوباء الذهبية التي ذكرنا طرفاً منها الان فلم يبد لنا منها وباء يكون موت الذهب فيه سبباً لحياة قوم حياة حقيقية كاطعام جائع وايواء طريد وتعليم جاهل بل جل ما عندنا من اوباء الذهب اوباء الارث التي تتلف بها اموال الآباء بين نوادي الخلاعة والمجون وبين مناولات الطاس والكاس ومسابقة الخيول واصطياد الطيور وامثال هذه الدنيئات التي تسقط بها الاقدار والمقامات بحيث تكون اوباء المال عندنا اوباء حقيقية يموت بها نفس الذهب ثم يموت على اثره من انفق ومن كسب